الجسم والروح
وفهم العلاقات بينهما

للاستاذ محمد عبد المنعم خلاف

أذكر لكم مثلا مجازيا يقرب فهم العلاقة والمسئولية بين الجسم والروح لتتبينوا أن كثيرا من آفات المجتمع ناشئ من سوء الفهم للعلاقة الواجبة بينهما .

كان لاحد الملاك حديقة واسعة حافلة بأنواع الثمار الشهية الجميلة ولم يشأ أن يجعل لها حارسا واحدا فعهد بحراستها الى حارسين أحدهما أعمى والثانى مقعد كسيح وقد سولت لهما النفس الأمارة بالسوء أن يأكلا منها من غير أن يعرف كل منهما مايفعل الآخر فلم يستطيعا ذلك لعجز الأعمى عن الرؤية والاهتداء الى مواضع الثمار وعجز المقعد عن النهوض والسير وتسلق الأشجار للقطف منها فاضطرا أخيرا أن يفضى كل منهما للآخر بهذه الرغبة فقال المقعد للاعمى إنى أرى فى الحديقة ثمارا جميلة وأن نفسى لتشتهيها ولكنى لا أستطيع أن أسير اليها وأتسلق أشجارها لأجنى منها وأتمتع بأطايبها . فأجاب الحارس الأعمى وأنا كذلك ياأخى أتمنى أن اهتدى الى هذه الثمار ولكنى لاأستطيع منفردا كما أنك لاتستطيع منفردا . . فهلم أحملك على كتفى وأذهب بارشادك الى أمكنتها فتقطف وتطعم وتطعمنى وسوف لايشك المالك فينا لأنه يعلم عجز كل منا منفردا عن السرقة .

فلما تفقد المالك حديقته وجد ثمارها ناقصة فاستدعى الرجلين وسألهما . فقال المقعد مدافعا عن نفسه "كيف يمكن أن أكون السارق الجانى مع أنى لاأستطيع النهوض والسير وتسلق الأشجار ؟ وقال الأعمى " وكيف يمكن أن تنسب السرقة الى مع أنى عاجز عن رؤية الثمار والمرور بين الأشجار ؟

فما كان من المالك الذكى إلا أن أجلس المقعد على كتفى الأعمى وأصدر حكمه عليهما باعتبارهما شخصا واحدا يعين بعضه بعضا وقال لهما " أنى إخترتكما واعتمدت فى الحراسة على بصر الكسيح وقوة الأعمى ليكمل أحدكما الآخر فى الخير وأداء الأمانة ولكنكما استعملتما ذلك فى الشر والخيانة فعليكما معا تقع المسئولية .

كذلك ارتباط الجسم والروح ومسئوليتهما فى حديقة الحياة التى جعلهما الله حارسيها لايستطيع أحدهما أن يعمل مستقلا عن الآخر فى الخير أو الشر . ولا يستطاع الفصل بين العمل اللازم لها إن أردنا سعادة كاملة ولا يستطيع أحدهما أن يخلى مسئوليته أمام مالك حديقة الحياة . لذلك سيبعثهما الله معا يوم الجزاء فيحاسب الروح البصير الكسيح مع الجسد القوى الأعمى .

وأول مايجب أن نعنى به طبعا هو الجسم ذلك الجانب الظاهر هو فى الكيان الانسانى لأنه هو القالب الذى تتجلى فيه الروح وهو المسكن الذى تسكنه وتتأثر به فالانسان ينمو أول الأمر نموا جسديا أكثر مما ينمو عقليا وروحيا ثم تتبدىء قوى الروح تنمو بنمو التمييز والحكم والتدبر والتصور .

فما هو واجبنا نحو الجسم ؟ هو أن نجتهد أن تكون بذرته صحيحة سليمة من الأمراض الخبيثة وسموم المسكرات والمخدرات التى تترك فيه آثارا قبيحة كالجنون والعتة والعمى والاختلال العصبى ثم نعنى بالجنين وهو فى بطن أمه فنغذى الأم الغذاء الصالح ونجلب لها وسائل السرور والابتهاج بالرياضة فى مجالى الطبيعة الجميلة ونجنبها المؤثرات العنيفة كالخوف والحزن والغضب لأن كل ذلك يؤثر فى الجنين وتظهر آثاره فيما بعد وهو طفل وشاب ورجل وقد قيل أن تهديد الاسبان لانجلترا بأسطول (الأرمادا) ترك فى نفوس كثيرين من الجيل الذى كانت الأمهات حاملة به فى ذلك العهد آثارا من الخوف والاضطراب العصبى والقلق ولا ندرى ماذا ستكون آثار أهوال هذه الحرب فى الجيل الذى حملت به الأمهات فى أيامها المرعبة ، ثم إذا ولد الطفل يعنى به كما توجب قواعد الصحة ويشير به رعاة الطفولة حتى يصير قوى العود سليم القالب عند الشباب والرجولة .

وكل هذه العناية بالجسم لاشك تنتج شعورا من السعادة التى توحيها الصحة والقوة التى تجعل روح الانسان تستقبل الدنيا بالتفاؤل والرضا والطمأنينة وتقلل من التشاؤم والسخط فان الأمراض والآلام الجسمية من أعظم مسببات التشاؤم والسخط وكلنا يعلم ماذا يكون شعورنا اذا كنا أصحاء وماذا يكون اذا كنا مرضى أو حتى اذا كنا متخمين بلقمة زائدة أو اذا أصابنا أرق شرد النوم عن جفوننا ، ففى الحالة الأولى يكون كل شىء باعثا على الرضا والابتهاج ، وفى الحالة الثانية تسود الدنيا فى أعيننا ونغضب ونتشاءم ونتمنى الخروج من الحياة ونرى المرض هو أشد أنواع الشقاء ويتحول مذاق النعم الى مذاق مرير ولا نجد رغبة فى عمل ولا لذة فى المال ولا فى المناصب والجاه ، بل تتحول كل هذه الى أحمال ثقيلة على الصدر وإلى خدع لا قيمة لها ولا نفع فيها كما تتحول الأغذية الصالحة الدسمة الى سموم قتالة فى المعدة المريضة ، وكما تتحول الموسيقى الجميلة الى ضربات مؤلمة فى أذن الذى فى رأسه صداع . فالجسم اذا سرت فيه سموم المرض والألم أفسدت فيه أذواق جمال الحياة وحولت حرير الورد الى شوك وقتاد وبياض الصبح الى فحمة الظلام وحلاوة التفاح الى مرارة الحنظل .

أما الروح فتحتاج الى عناية أعمق وأعظم وأحذق لأنها هى الجانب البصير الذى يرى للجسم ويهديه ويدفعه ويسدد خطاه فى العمل والجهاد والكفاح لمعرفة الطبيعة ، ومع الأسف لا تزال العناية بها لدى أكثر الناس ناقصة نقصا فاحشا جعل حياة الانسان مضطربة حائرة ضالة ولا تزال العناية بالجسم طاغية مع أن لب الانسان الحقيقى هو الروح .

وإنكم حين تستعرضون حياة أكثرنا فتجدونها سلسلة من الغفلات والأكلات واللذات الجسمية والأعمال الآلية التى لا استحضار فيها لمعان كريمة ولا سؤال فيها عما هى الغاية من هذه الأعمال ؟ وما هى الغاية من الحياة ، وماذا بعد الموت ؟ تتعجبون وتستغربون من انصراف الناس عما كان يجب أن يتوجهوا اليه وحده .

فأكثر الناس لا يتذكر أن يغذى الجانب الكريم الخالد منه وهو روحه كما يتذكر أن يغذى جسده فهو يأكل ويشرب طول اليوم ولكنه لا يتذكر تغذية روحه فيتركها إلى أن تموت أو تصدأ أو تتبلد فهو لا يفكر فى عجائب هذه الحياة التى دخلناها من غير اختيار منا وسنخرج منها من غير اختيار وهو لا يصلى لله مالك هذه الدنيا ولا يغـــذى عقله بالعلوم والمعارف التى تبين ما فى الكون من أسرار ولا يغـذى وجدانه وشعوره بالفنون والآداب الرفيعة التى ترقق الطبع وترهف الاحساس وتضاعف مذاق الجمال .

هو يستغرق فى اللذات الجسمية مع أنها ليست فى الواقع إلا وسائل للجسم ليستعين بها على خدمة الفكر والروح فالأكل والشرب ما هو إلا وقود للجسم كالبنزين والفحم للسيارات والآلات ولا يطلب لذاته ، فالجسم مركب الروح والمركب لا بد له من غذاء ووقود ، ولكنه لا يكون على حساب غذاء الراكب ... ولا يطلب لذاته كما يفعل كثير منا وكما كان الرومان القدماء فى عهد ترفهم وانحطاطهم يأكلون للتمتع بلذة الأكل فقط ، فاذا شبعوا ذهبوا وقاءوا واستفرغوا ما فى بطونهم وعادوا ليأكلوا وليجددوا لذة الأكل وهكذا .

ولنختم هذا الحديث كما بدأناه بمثل آخر رائع ضربه أبو حامد الغزالى رحمه الله فى العلاقة بين الجسم والروح وغفلة الناس عن فهمها قال " إنما مثل الروح مع جسده كمثل مسافر مع حماره وقد كلفه الملك رحلة وأعطاه ذلك الحمار ليركبه ويقطع به الطريق فنسى المهمة التى رحل من أجلها وشغل بالحمار وصار يدلله ويطعمه من غذاء نفسه ويحمله حتى عكس الحال فصار هو المركوب وصار الحمار هو الراكب .

وحقا سيداتى وسادتى ... لقد صارت أجسامنا تتحكم فى أرواحنا وتطغى على غذائها وتركبها وتلجمها وتعذبها وتصرفها عن واجبات الرحلة فى هذه الحياة المؤقتة فى هذه الأرض الصغيرة جدا بالنسبة للكون الواسع وتضلها عن الطرق الممهدة السهلة وتحملها على الطرق الصعبة وحتى نظر الناس للحمار وحده ولم يعودوا ينظرون لراكبه فصار مقياس الانسان هو الجسم الجميل لا الروح الجميل ولا الفكر الكريم ولا الخلق النبيل .

وقد ظن كثير من الناس أنه يكفى لإنشاء قرد من الأفراد أن تلقى بذرة انسانية فى رحم من الأرحام ثم تولد وتنمو بعد ذلك نموا شيطانيا بدون رعاية وتعهد .

ونحن لا نريد أن تهمل الأجسام ونظلمها حقها ونعذبها بالحرمان لاضعاف الأعضاء وتعطيلها عما خلقت له كما يفعل نساك الهندوس فى سبيل تقوية الروح كما يزعمون فان عالم الأجسام عالم بديع وقد امتن الله بدقة تصويره وتعديله وتركيبه وإنما نريد أن نعطى الروح حقها كما نعطى الجسد حقه حتى يخرج منهما الانسان الكامل المسئول عن حراسة حديقة الحياة بالأمانة والنظر والقوة فلا تترك الروح كسيحة عاجزة ولا الجسم مريضاً أو قادرا ولكنه أعمى فانهما شخص واحد سيجمعهما الله تعالى للبعث ويحاسبهما حسابا واحدا كما حاسب مالك الحديقة الحارسين فى القصة التى افتتحت بها هذا الحديث .

عبد المنعم خلاف

واحتمال الأذى ورؤية جانبـــه غذاء تضوى به الأجسام

" المتنبى "